قراءة في نص "ظن" لطاهر الدويني

هيفاء حمّاد، سوريا

ظن

أعتقد أني ارتقيت في حبها درجات، ما أغباني إذ لم أتصور أنني صعدت السلم بأكمله.

من المؤكد أن الحب حالة فطرية تنبع من شعور لا إرادي، يهدف إلى بناء علاقة مستقرة. وقد يكون في كثير من الأحيان خارج سيطرة الفرد. ومن المؤكد أيضاً أن الحب ليس شعاراً يرفع، أو كلمة ينادى بها. وإنما هو أقوال وأفعال معاً، واقع في كل لحظة وفي كل رفة هدب. هو حالة وجدانية كأي سمة جميلة من سمات الإنسان، هو لغة الحياة يُبعث في الروح فتجري فيها الحياة.

وتختلف جرعات الحب التي يتلقاها الناس باختلاف طبائعهم وتكويناتهم البيولوجية ونفسياتهم

وربما تأثير بيئاتهم عليهم. فالبعض يراه كلمة صغيرة من حرفين، والبعض الآخر يراه سراً من أسرار الكون، وآخرون يرونه طهارة داخلية تغسل النفوس. وهنا وفي نص ظن للأستاذ طاهر الدويني نرى أن الراوي يبدأ قصته بالتركيب اللغوي (كنت أعتقد أنني ارتقيت بحبها درجات) فالشخصية التي تتكلم جاءت بضمير المتكلم المفرد. وهذه الشخصية تبدو أنها كانت تعيش في حالة حب. وأن هذه الحالة وحسبما تظن أنها حالة متصاعدة، ربما تزداد شيئاً فشيئاً، وحسبما يتوفر لها من شروط داعمة لبقائها واستمرارها. ولكن وعلى ما يبدو من هذه الحالة التي تجسد الحب فيها أنها جرعة ضعيفة نسبياً قياساً بالحب الحقيقي، وأنه حرفان لا أكثر من ذلك. فالحب الحقيقي يجتاح الكيان اجتياحاً، ودون أن يكون للمحب أي سلطة على إيقافه أو إحجامه. وإنما يعطي نفسه للحبيب دون أن يدري، يعطي دون أن يطلب، فالحب الحقيقي السليم خال من

الغرض، حتى الإخلاص فيه لا يأتي بطلب أو اتفاق. وإنما يأتي من تلقاء نفسه. وهنا نرى أن الشخصية لا تزال في حالة لا حب، في حين أنها اعتقدت أنها ارتقت في حبها درجات. فعندما نرتقي بالحب ويرتقي بنا، لا نستطيع تحديد كم الحب الذي اجتاحنا، لا يمكننا وصفه، فلا كلمات ومهما ارتقى الأسلوب تعبر عن كم الحب لأنه لا يقدر بكم. فالحب يضيع مجرد أن نبدأ بصناعته، فهو إحساس داخلي تلقائي، دون الحاجة إلى كلام. فالشخصية كانت تظن نفسها أنها تزداد حباً للحبيبة لقاء بعد لقاء، ويوماً بعد يوم. لكننا بالانتقال إلى الجملة الثانية (ما أغباني. إذ لم أتصور أنني صعدت السلم بأكمله) نجدها تصحو من الحالة التي كانت تعيشها لتعلن غباءها في اعتقادها السابق بارتقائها في حب الحبيبة. إذاً لا بد أنها وصلت في حب تلك المرأة إلى مراحله الأخيرة. فهل للحب نهاية؟ بالطبع لا نهاية للحب، لأنه لا نهاية للعطاء أو الطهر. إذاً من إعلان

الشخصية صعودها السلم بأكمله، نستخلص إلى أنها كانت تحاول صناعة الحب مع تلك المرأة صناعة، وبالعودة إلى الجملة الأولى نجد أن الفعل فيها جاء بضمير المتكلم المفرد، وهذا دليل على أن الشخصية لا تربطها علاقة حقيقية أو حب فطري مع تلك المرأة. فلو كان ذلك لاستخدمت ضمير المتكلم الجمع، وهذا أبداً لا ينفي حب المرأة للشخصية، فكثيراً من الأحيان ما يكون الحب من طرف واحد، وليس بالضرورة أن يبادل الطرف الآخر المشاعر نفسها. وهذا لم يتضح في نص الومضة ولكنه مجرد احتمال.

شخصيات الومضة: هي شخصية وحيدة جاءت على لسان المتكلم.

مكان الحدث: يمكننا القول أن الحدث يدور في ذهن الشخصية.

المدى الزمني للومضة: قصير يركز على لحظة اكتشاف الشخصية صعودها سلم الحب بأكمله.

obeikandl.com